مجلة المنهل • المجلد: 06، العدد: 02 (2020م) • ص ص 23 – 36
ISSN : 2437 - 1068 • EISSN 8392 - 2710

الشروح الحديثية عند المحدثين
حاشية السندي على سنن ابن ماجة أنموذجا

The explanations hadith; the entourage of Sindi

on the Sunan of Ibn Majah

د. زكرياء قادي*
معهد العلوم الإسلامية - جامعة الوادي/ الجزائر
abdou_zaki92@yahoo.com

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2020/10/10	2020/11/27	2020/12/20

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

سنبرز في هذا البحث نوعا من أنواع الشروح الحديثية المغمورة عند كثير من أهل العلم، بل وحتى عند فئة كبيرة ممن يشتغل بعلوم الحديث، وهي ما يتعلق بالحواشي الشارحة لكتب السنة فنأخذها بالتعريف ونبين أنواعها، ونمثل لها بنموذج الإمام السندي من خلال حاشيته على سنن ابن ماجة، مبرزين منهجه وصنيعه في الكتاب.

الكلمات المفتاحية:

الشروح الحديثية؛ كتب السنة؛ الإمام السندي؛ حاشية السندي؛ سنن ابن ماجة.

Abstract :

In this paper, we are talking about a type of explanations to hadith that many scholars do not know, and even a group of researchers in hadith sciences, which is related to the annotations explaining the books of the Sunnah.

We will define them and indicate their types, then we will represent them with an example, which is Imam Sindi, through his entourage on Sunan of Ibn Majah, to highlight his method in the book.

Keywords:

explanations to hadith; the books of Sunan; Imam Sindi; entourage of Sindi; Sunan of Ibn Majah.

(*) المؤلف المراسل.

1. مقدمة

إن الحمد لله تعالى نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

كان لعلماء الحديث في المشرق والمغرب دور كبير في النهوض بالسنة النبوية رواية ودراية، شرحاً وتعليقاً وزيادات واستدراكات، فقاموا بتصنيف الشروح واستنباط الأحكام من خلال الكتب الستة وإضافة الحواشي والتعليقات عليها، ومن هؤلاء العلماء أذكر: الإمام المجتهد نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي ، فقد كانت له جهود كبيرة في خدمة السنة وعلوم الحديث عموماً وعلى الكتب الستة على وجه الخصوص، فقد قام بوضع حواش شارحة لهاته الكتب كانت نبراسا لكثير من الباحثين في فك الكثير من العقبات في شرح أحاديث رسول الله ﷺ.

1،1.أهمية البحث: تتمثل أهمية البحث في إبراز نوع من أنواع الشروح الحديثية الذي غفل عنه كثير من الناس وله دور كبير في شرح معاني أحاديث رسول الله ﷺ وأقوال مصنفي الكتب الستة.

1،2. إشكالات البحث: ونتوخى من خلال هذه الورقة البحثية الإجابة عن الإشكالات الآتية: – من هو الإمام السندي الشارح لكتب السنة؟

– ما هي أبرز سمات منهج الإمام من خلال حاشيته على سنن النسائي؟

1،3. أهداف البحث: وتهدف الدراسة في هذه الورقة إلى ما يلي:

– إبراز جهود علماء الحديث في خدمتهم للكتب الستة.

–إظهار نوع من أنواع الشروح الحديثية لطلبة العلم، والذي من خلاله يمكن استنباط الكثير من الفوائد.

1،4. عنوان البحث: كما تفيد التفاسير في فهم كلام الله تعالى، فإن شروح الحديث وحواشيه تفيد في فهم كلام النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك اهتم العلماء بشرح كتب السنة ووضع حواش لها ولشروحها، ومن أبرز العلماء الذين اعتنوا بهذا العلم هو "الإمام السندي" ـ رحمه الله ـ حيث قام بوضع حواش للكتب الستة وغيرها، ولمعرفة معالم منهجه في وضعها قمت بإنجاز هذا البحث الموسوم بـ: الشروح الحديثية عند المحدثين، حاشية السندي على سنن ابن ماجة أنموذجا.

2. المطلب الأول: الشروح الحديثية عند المحدثين:

نتحدث هنا عن الشرح الحديثي ومكوناته وأنواعه.

2،1. الشرح في اللغة: يدور حول معان أهمها: التفسير والكشف والبيان، والتوسعة والانفساح والرحابة، وشرح حسي كتشريح اللحم، ومعنوي كشرح الصدر بنور القرآن[1].

2،2. الشرح الحديثي اصطلاحاً: هو علم يشتمل على ضبط ألفاظ الحديث، وبيان معانيه، وشرح غريبه، واستخراج أحكامه وفوائده، واستنباط الفقه منه، والكَشف عن وجه دلالته على الحكم الشرعي[2].

2،3.- مكونات الشرح الحديثي: حتى يكون الشرح الحديثي مستوفي الشروط، لابد لنا من إيجاد مكونات ثلاثة تتعلق بالحديث النبوي الشريف الصادر عن رسول الله ﷺ وهي:

أ- **الإسناد ومتعلقاته:** من خلال علم اتصال السند، وشروطه، وانقطاع السند وأسبابه، والتعريف برواته وأحوالهم، ودرجات ضبطهم وعدالتهم، ونواقض ذلك، ومن ثم بيان درجة الإسناد والحديث.

ب- **المتن ومتعلقاته:** ما يتعلق بضوابط قبول ورد المتن، وأنواع المتون من حيث التواتر والآحاد، والمتون المرفوعة والموقوفة والمقطوعة، والقدسية، واستيفائها صحة السند، وخلو المتون من الشذوذ والإعلال، فضلا عن القلب والإدراج والتصحيف والتحريف، والناسخ والمنسوخ، والمتشابه ومختلف الحديث ومشكله، وغريبه وهو جانب ينبني بشكل أساس على الإثبات للمتون الحديثية.

ج- **فقه متن الحديث ومتعلقاته:** فقه الحديث هو ثمرة هذا العلم وغايته، فقه الحديث هو علم تختلف فيه أنظار العلماء وتتباين فيه استنباطات وأحكام المسائل، وهو متعلق بعلم دراية المتن أكثر منه في الرواية. وفقه الحديث معني بإبراز المعنى الاصطلاحي الذي تعارف عليه شرعا، وهذا ما ينضبط من خلال التعرف على أنواع الشروح الحديثية بإذن الله[3].

2،4. أنواع الشروح الحديثية:

ويقصد بها التفصيلات المنهجية لأنواع الشروح، التي انتهجها الشراح كل في مجاله:

2،4،1. الشرح الفقهي: هو الذي يعتني بالأحاديث المتعلقة بالأحكام والتشريع من العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج،...الخ باستنباط مسائل الفقه منها، ومما ساعد في ذلك أن القواعد والأصول (القران، السنة، الإجماع، والقياس...) تحوي كثيراً من السنة العملية التي هي في الواقع تفسير تطبيقي للحديث الشريف[4].

2،4،2. الشرح اللغوي: هو كالتفسير بالرأي في حاجة للإلمام بكلام العرب وتصاريفهم والنحو والصرف والبلاغة، فضلا عن الفقه والأصول، والحديث وعلومه حتى يتسنى المقايسة في الترجيحات. ففي قضية إتمام الفوائت في صلاة المسبوق، ورد لفظان هما: "فاقضوا فأتموا" فدلت إحدى الكلمتين على مفهوم البناء على هيئة الفائتة فيقضي مافاته إن جهرا فجهر وإن سرا فسر، ودلت الثانية على مفهوم الأداء المخالف لذلك في الهيئة وليس عدد الركعات[5].

2،4،3. الشرح الموضوعي: هو الذي يتعلق بالأحاديث الموضوعية التي تعتني بأحاديث تدور حول موضوع معين ،من حيث تخريجها والحكم عليها، ومن ثم بيان لطائف إسنادها ومتونها، وشرح معانيها واستنباط أحكامها، هذا ما دار عليه مفهوم الشرح الموضوعي للحديث. أما كيفيته فتنبني على جمع الأحاديث المقبولة في الموضوع الواحد، في مكان واحد، ومن ثم ترتيبها، وشرحها والربط بينها والتعليق عليها، بما يجلِّيها ويوضحها ويبرز فوائدها. فهي أقرب في رد متشابهها إلى محكمها، ومطلقها إلى مقيدها، وتفسير عامها بخاصها[6].

2،4،4. الشرح التحليلي: هو علم قائم على دراسة للأحاديث من حيث السند والمتن، مما يعنى تتبع خطوات معينة تتألف منها الشروح التحليلية للأحاديث النبوية والتي تتمثل في:

أ- تخريج الحديث من مصادره الأصلية، واستقراء تلك المصادر مما يفيد في ترقية الرواية وبيان أحكامها.

ب- استقراء طرق الأسانيد ومعرفة مدار الإسناد، ومن ثم الوقوف على اللطائف الإسنادية، التي تفيد في إظهار اختلاف ألفاظ الروايات، أو زيادة في ألفاظها... إلخ.

ج- معرفة ألفاظ التحمل والأداء، للتعرف على اتصال الإسناد وانقطاعه، ومعرفة علله من إرسال وتدليس، واختلاط...إلخ.

د- دراسة أحوال رجال السند، جرحا وتعديلا، والوقوف على قواعد تعديل وتجريح الرواة، فهو أجدى في إظهار مجهودات المحدثين، وقوة منهجهم في التعامل مع نقلة الأخبار.

هـ- بيان أسباب ورود الحديث، ومناسباته التي قيل فيها، مما يعين على التماثل في القياس، واستنباط أهمية الحديث، وموضوعه الذي داور حوله، ويعين على فهم الواقع الحديثي.

و- بيان الأحكام الفقهية والعقدية المستقاة من الحديث، وشرح مشكل ومختلف الحديث وأوجه التوافق من حيث الجمع، أو بيان النسخ أو تعدد الأحكام[7].

ز- استنباط الأبعاد التربوية من الحديث الشريف، حيث ما هو إلا لتقويم سلوك الفرد المسلم فكريا.

2،4،5. الشرح القولي: يصدر الشرح القولي غالباً بكلمة "قوله"، وتعد هذه أهم خاصية أو صيغة لهذا المنهج، ومرجع هذا الضمير في كلمة قوله: إما قول الراوي، ويقصد به مخرّج الكتاب، مثلا البخاري أو مسلم، أو أحد رواة السلسلة الحديثية، إلى غاية النبي ﷺ.

2،4،6. الشرح المزجي: وهو الذي يذكر فيه صاحبه نص الحديث سندا ومتنا ممزوجين بشروحهما، أي هو شرح يمتزج فيه سند الحديث ومتنه بلفظ الشارح في سياق واحد وأسلوب واحد، ويميز بين النصين بشكل من أشكال التمييز كالأقواس والتفخيم والتسطير ...

2،4،7. شروح أخرى: هناك أساليب أخرى للشرح إلا أنها تستمد مباحثها من الطرق السابقة، وهي شروح لم تعرف ذيوعا وشهرة فبقيت أساليب خاصة بأصحابها ومنها:

أ- شرح مرتب على شيوخ المصنف: كالتمهيد لابن عبد البر، رتبه على شيوخ مالك.

ب- شرح لاستلال الفوائد والضوابط والقواعد: كإحكام الأحكام لابن دقيق العيد، حيث يسوق الحديث من عمدة الأحكام للمقدسي، ثم يعرف بالصحابي راوي الحديث ثم يقول: "الكلام على هذا الحديث من وجوه".

ج- شرح جامع بين الموضوعي والقولي: يضع عناوين جانبية، ويضع "قوله"، ومثاله بيان الأنساب قوله: مكي بن إبراهيم هو من مكة...، وهو صنيع محمود خطاب السبكي في كتابه المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود.

2،4،8. الحواشي الشارحة لكتب السنة: وهي نوع من أنواع الشروح الحديثية، نذكر من خلالها تعريف الحواشي وأنواعها.

2،4،8،1. الحاشية في اللغة: قال ابن منظور: "في ماد (حشا) من لسان العرب: حاشيةٌ وحاشيَّة كل شيء جانبه وطرفه، فالحاشية في اللغة طرف الشيء"[8].

2،4،8،2. الحاشية اصطلاحا: قال حاجي خليفة في كشف الظنون: "الحاشية عبارة عن أطراف الكتاب ثم صار عبارة عما يكتب فيها، وما يجرد منها بالقول فيدوّن تدوينا مستقلاً ويقال لها تعليقة أيضًا"[9].

قال الأزهري: الحاشية الناحية وحاشية الثوب، وكل شيء ناحيته، وحاشية كل شيء طرفه الأقصى[10].

من خلال التعريفات السابقة: الحاشية هي تلك التعليقات التي يضعها المحشي في جوانب الصفحات بغض النظر هل هي مطولة أم مختصرة أم متوسطة، أي تأتي في طرف الكتب وطرّتهم[11].

فهناك فرق بين متن الرسالة وهامشها، والحواشي والهوامش، لكن التسلسل الزمني في استعمال هذا المصطلح أعطى لكل حقبة مفهوما معينا للحاشية، فعند المتقدمين مثلا متن الرسالة وشرحها يسبق الحاشية، لأن الحاشية أتت تبعا، فلما توسع المتأخرون في استعمال الحاشية، أصبحت الحاشية وكأنها شرح للمتن مثلا، لكن هذا على استعمال نطاق ضيق، وفي زماننا فإن الحواشي عندنا هي هوامش الرسئل الجامعية والمقالات والبحوث التي يعتمد عليها الباحث لتقديم بحثه أحسن حلة وإخراج[12].

2،4،8،3. أنواع الحواشي الشارحة[13]:

هناك نوعان من الحواشي التي وضعها العلماء على كتب السنة وهي:

أ- حواشي وضعت على كتب متون الحديث: نذكر بعضًا منها:

- حاشية السندي على صحيح مسلم، محمد بن عبد الهادي السندي، تحقيق علي بن أحمد الكندي المرر، الناشر: مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع، 2011، مجلد واحد طبعة 01، 788صفحة.
- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، 1995، 14 جزءً.
- حاشية السيوطي على سنن النسائي، للإمام جلال الدين السيوطي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، 1986، 08 أجزاء.

ب- حواشي وضعت على كتب الفقه:

- حاشية الشيخ علي الصعيد العدوي المالكي على كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني لعلي بن الحسن المالكي الشاذلي.
- حاشية الصاوي، المسمّاة: بلغة السالك لأقرب المسالك على الشرح الصغير.
- حاشية الدسوقي (ت 1230هـ) على الشرح الكبير.

3. المطلب الثاني: منهج الإمام السندي في حاشيته على سنن ابن ماجه

3،1. ترجمة الإمام السندي بر:

3،1،1. اسمه، نسبه، مولده:

هو نور الدين محمد بن عبد الهادي التتوي المدني السندي الأصل والمولد، فقيه حنفي عالم بالحديث والتفسير والعربية من المتأخرين الذين خدموا السنة خدمة لا يستهان بها، ولد بتهته قرية من بلاد السند ونشأ بها ثم ارتحل إلى تُسْتَر، ثم رجع إلى المدينة وتوطن بها إلى أن توفي.

3،1،2. حياته، شيوخه وتلاميذه، وفاته:

درس بالحرم الشريف النبوي واشتهر بالفضل والذكاء والصلاح وألف مؤلفات نافعة منها الحواشي الستة على الكتب الستة، وحاشية على مسند الإمام أحمد، وحاشية على فتح القدير وصل بها إلى باب النكاح، وحاشية على البيضاوي، وحاشية على الزهراوين للملا علي القاري، وحاشية على حاشية شرح جمع الجوامع الأصولي لابن قاسم المسماة بالآيات البينات، وغيرها من المؤلفات.

من شيوخه السيد محمد البرزنجي والملا إبراهيم الكوراني بتستر، ومن تلاميذه محمد حياة بن إبراهيم السندي، والشيخ محمد أمين سفر المدني.

قال عنه الشيخ إسماعيل بن محمد سعيد سفر: كان أحد الحفاظ المحققين والجهابذة المدققين.

توفي في 12 من شوال سنة 1238 بالمدينة المنورة، وكان له مشهد عظيم حضره الجم الغفير من الناس حتى النساء وغلقت الدكاكين وحمل الولاة نعشه إلى المسجد الشريف النبوي ودفن بالبقيع، وأتصل به بسند مسلسل بالسنديين عن الشيخ محمد سعيد زمان السندي عن عمه محمد حسين ابن مراد السندي عن أبي الحسن محمد بن صادق السندي عن الشيخ محمد حياة السندي عنه.

3،2. حواشي الإمام السندي على كتب السنة:

قام الإمام أبو الحسن السندي بوضع حواشي على كتب السنة، نذكر منها:

- حاشية السندي على صحيح الإمام البخاري، وهو كتاب مطبوع في 04 أجزاء.

- حاشية السندي على سنن النسائي، وهو مطبوع بعنوان: سنن النسائي للإمام النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي.

- حاشية السندي على مسند الإمام أحمد بن حنبل، وهو كتاب مطبوع بتحقيق طارق عوض الله أبو معاذ، في 05 مجلدات.

- حاشية السندي على صحيح الإمام مسلم، وهو كتاب مطبوع بتحقيق: علي بن أحمد الكندري المرر، في مجلد واحد، عن دار بينونة للنشر والتوزيع.

- حاشية السندي على سنن ابن ماجة، وهو الكتاب الذي هو محل دراستنا في هذه الورقات.

3،3. التعريف بالكتاب:

هو كتاب في مجلدين، افتتح فيه مؤلفه الشرح بمقدمة مختصرة جدّا، حيث بلغت صفحة واحدة فقط، تحدث فيها الإمام السندي رحمه الله تعالى عن الإمام ابن ماجة القزويني، وعن كتابه السنن باختصار شديد.

حيث كان في تعليقه وشرحه يذكر الترجمة ويشرحها، ثم يذكر ما يحتاجه من المتن موافقًا لتلك الترجمة ويقوم بشرحها أيضًا، ولا يعرج على شرح الأسانيد أو رجال الإسناد، هو عبارة عن شرح كامل لجميع الكتاب، إلا أنه يعتبر شرحًا ناقصًا من جهة مفردات الشرح وما يتطلبه، فهو بذلك تحتاج إلى زيادة شرح وتفصيل لمعاني الأحاديث الواردة فيه، والأسانيد والرجال التي تحويها سلاسله، كما يحتاج إلى الكلام عن تخريج أحاديثه والكلام عليها ومقارنتها بكتب السنة الأخرى، ونقدها حتى يكون الكتاب قد استوفى حقه من الشرح.

3،4. منهج الإمام السندي في حاشيته على سنن ابن ماجه.

كتاب حاشية السندي على سنن ابن ماجه الذي سماه "كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه" وهو في مجلدين، افتتحه بمقدمة مختصرة معتصرة تحدث فيها عن الإمام ابن ماجه وسننه بشكل عام، وشرع بعدها في شرح أحاديث الأبواب.

3،4،1. منهجه في ضبط اللفظ وبيان معناه:

كان رحمه الله تعالى يعتني بضبط الألفاظ مبيّنا حركاتها الإعرابية وضم وكسر وفتح وجزم حروفها الهجائية حتى لا يختلط على القاري معناها فيقع في الخطأ، مع ما نعرفه من تغيير لهذه الحركات في العربية من تغيير للمعنى في الكلمة الواحدة، مثال ذلك شرحه لحديث أسامة بْنِ عُمَيْرٍ الْهُذَلِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةً إِلَّا بِطُهُورٍ، وَلَا يَقْبَلُ صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ»[15].

قال الإمام السندي: (إِلَّا بِطَهُورٍ) الطَّهُورُ بِضَمِّ الطَّاءِ فِعْلُ الْمُتَطَهِّرِ وَهُوَ الْمُرَادُ هَاهُنَا وَبِالْفَتْحِ اسْمٌ لِلْآلَةِ كَالْمَاءِ وَالتُّرَابِ وَقِيلَ بِالْفَتْحِ يُطْلَقُ عَلَى الْفِعْلِ أَيْضًا فَيَجُوزُ هَاهُنَا الْوَجْهَانِ وَيَجِبُ أَنْ يَجْعَلَ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ حَالًا أَيْ لَا يَقْبَلُ إِلَّا حَالَ كَوْنِهَا مَقْرُونَةً بِطَهُورٍ[16].

وشرحه لحديث «اسْتَقِيمُوا وَنِعِمَّا إِنْ اسْتَقَمْتُمْ وَخَيْرُ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةُ وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»[17].

قال: قَوْلُهُ (وَنِعِمَّا) هِيَ أَيِ الِاسْتِقَامَةُ فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ} [البقرة: 271] وَهَذَا شَرْحُ الِاسْتِقَامَةِ وَأَصْلُهُ "نِعْمَ مَا" أُدْغِمَتْ مِيمُهَا فِي "مَا" إِلَّا أَنَّهُ حُذِفَ ضَمِيرُ الْمَخْصُوصِ بِالْمَدْحِ[18].

وفي حديث الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ الْمَذْهَبَ أَبْعَدَ»[19].

قال: قَوْلُهُ (الْمَذْهَبُ) مَفْعَلٌ مِنَ الذَّهَابِ وَهُوَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا أَوِ اسْمَ مَكَانٍ وَعَلَى الْوَجْهَيْنِ فَتَعْرِيفُهُ لِلْعَهْدِ الْخَارِجِيِّ وَالْمُرَادُ مَحَلُّ التَّخَلِّي وَالذَّهَابُ إِلَيْهِ بِقَرِينَةِ أَبْعَدَ فَإِنَّهُ اللَّائِقُ بِالْإِبْعَادِ وَقِيلَ بَلْ صَارَ فِي الْعُرْفِ اسْمًا لِمَوْضِعِ التَّغَوُّطِ كَالْخَلَاءِ[20].

3،4،2. أسلوبه في الشرح:

ينتهج الإمام السندي الأسلوب القولي في حواشيه لشرحه للحديث حيث يذكر ما يحتاجه من المتن بين قوسين ويسبقه بكلمة "قوله"، وقد سبق التعريف بهذا النوع أيضا في المطلب الأول من هذا البحث.

مثال ذلك شرحه لحديث ابْنِ عُمَرَ «تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً فَقَالَ هَذَا وُضُوءُ مَنْ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَلَاةً إِلَّا بِهِ ثُمَّ تَوَضَّأَ ثِنْتَيْنِ ثِنْتَيْنِ فَقَالَ هَذَا وُضُوءُ الْقَدْرِ مِنْ الْوُضُوءِ وَتَوَضَّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا وَقَالَ هَذَا أَسْبَغُ الْوُضُوءِ ...»[21].

قال السندي: "قَوْلُهُ (هَذَا وُضُوءُ مَنْ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَخْ) كَانَ الْمُرَادُ هَذَا وُضُوءُ مَنْ لَا يَحْصُلُ لَهُ بِوُضُوئِهِ سِوَى قَبُولِ الصَّلَاةِ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنَّ هَذَا الْوُضُوءَ لَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ إِلَّا قَبُولُ الصَّلَاةِ..."، ثم قال: وقَوْلُهُ (هَذَا وُضُوءُ الْقَدْرِ مِنَ الْوُضُوءِ) أَيْ هَذَا مِنْ جِنْسِ الْوُضُوءِ وُضُوءُ الْقَدْرِ يُرِيدُ أَنَّهُ حَقِيقٌ بِأَنْ يُضَافَ إِلَى الْقَدْرِ ... وقَوْلُهُ (ثُمَّ قَالَ عِنْدَ فَرَاغِهِ إِلَخْ)... [22].

3،4،3. ذكر الترجمة وشرحها:

يأتي إلى الترجمة التي أوردها ابن ماجه في سننه فيذكرها، مثل: "كِتَاب الطَّهَارَةِ وَسُنَنِهَا"[23] ثم يقوم بشرح هذه الترجمة فيقول: قَوْلُهُ (الطَّهَارَةُ وَسُنَنُهَا) الْمُرَادُ بِالسُّنَنِ الْأَحَادِيثَ أَيْ أَبْوَابَ أَحَادِيثِ الطَّهَارَةِ أَهَمُّ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ وَالتَّقْرِيرِيَّةِ وَفِي عَطْفِهَا عَلَى الطَّهَارَةِ مِثْلُ عَطْفِ أَعْجَبَنِي زَيْدٌ وَعِلْمُهُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ[24].

3،4،4. إيراد أقوال الحنفية في المسألة:

نعلم أن معظم أهل المشرق الأقصى من الذين يحملون راية الإسلام يتبعون المذهب الحنفي في الحياة الشرعية العامة، فإيراد الإمام السندي أقوال مذهبه الحنفي في المسألة، يتجلى ذلك في شرحه لحديث الْمِقْدَامِ الشَّامِيِّ قَالَ «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَارِثُ مَنْ لَا وَارِثَ لَهُ أَعْقِلُ عَنْهُ وَأَرِثُهُ وَالْخَالُ وَارِثُ مَنْ لَا وَارِثَ لَهُ يَعْقِلُ عَنْهُ وَيَرِثُهُ»[25].

قال: "(وَالْخَالُ وَارِثُ مَنْ لَا وَارِثَ لَهُ) أَيْ: أَجْعَلُهُ مِنَ الْعَصَبَاتِ وَأَهْلِ الْفُرُوضِ، وَالْحَدِيثُ صَرِيحٌ فِي تَوْرِيثِ ذَوِي الْأَرْحَامِ وَهُوَ مَذْهَبُ عُلَمَائِنَا الْحَنَفِيَّةِ وَمَنْ لَا يَقُولُ بِإِرْثِهِ يُحْتَمَلُ أَنَّهُ قَالَ عَلَى وَجْهِ السَّلَبِ وَالنَّفْيِ كَمَا قَالُوا: الصَّبْرُ حِيلَةُ مَنْ لَا حِيلَةَ لَهُ. قُلْتُ: يَرُدُّهُ آخِرُ الْحَدِيثِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ إِذَا كَانَ عَصَبَةً وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ السُّلْطَانَ فَإِنَّهُ يُسَمَّى خَالًا كَذَا قَالَهُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ التِّرْمِذِيُّ وَالْكُلُّ بَعْدَهُ لَا يَخْفَى – وَاللَّهُ أَعْلَمُ –"[26].

3،4،5. تبيين الأحاديث التي تفرد بها ابن ماجه:

وقد تطرق الإمام السندي إلى لطائف حديثية دقيقة في علم الحديث متعلقة بعلم العلل بالتحديد، فكان إذا تفرد ابن ماجه بالحديث فإن الإمام السندي يشير إلى ذلك، مثال ذلك حديث مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قَالَ «لَمَّا

بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَا تَقْضِيَنَّ وَلَا تَفْصِلَنَّ إِلَّا بِمَا تَعْلَمُ فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَقِفْ حَتَّى تَبَيَّنَهُ أَوْ تَكْتُبَ إِلَيَّ فِيهِ»[27].

قال: "وَهَذَا الْمَتْنُ مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ الْمُصَنِّفُ"[28].

وفيما رواه ابن ماجه قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ عَدِيٍّ عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوقَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ كَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا لَمْ يَعْدُهُ وَلَمْ يُقَصِّرْ دُونَهُ[29].

قال **الإمام السندي** بعد شرحه للحديث: "... وَهَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا تَفَرَّدَ بِهِ الْمُصَنِّفُ".

ثم جاء بشاهد فقال: "وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ عَنِ التَّمَتُّعِ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَقَالَ: حَلَالٌ فَقَالَ الشَّامِيُّ: إِنَّ أَبَاكَ قَدْ نَهَى عَنْهَا فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَبِي نَهَى عَنْهَا وَصَنَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَمْرُ أَبِي يُتَّبَعُ أَمْ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَ الرَّجُلُ: بَلْ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَ: لَقَدْ صَنَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ثم يتبع الشاهد بشرح له[30].

3،4،6. الكلام في الأسانيد:

يعرج الإمام السندي متكلما على بعض الأسانيد نقلا عن العلماء دون ترجمة للرواة أو تخريج للحديث، مثال ذلك فيما رواه ابن ماجه قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ عَنْ صَالِحٍ مَوْلَى التَّوْأَمَةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَلَّى عَلَى جِنَازَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ»[31].

قال السندي: "وَأَجَابَ النَّوَوِيُّ بِأَنَّ الْحَدِيثَ ضَعِيفٌ تَفَرَّدَ بِهِ صَالِحٌ مَوْلَى التَّوْأَمَةِ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَأَيْضًا قَدْ جَاءَ فِي نُسَخِ أَبِي دَاوُدَ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ فَلَا حَجَّةَ عَلَيْهِ فِيهِ وَرَدَّهُ الْمُحَقِّقُ ابْنُ الْهُمَامِ فِي الْفَتْحِ بِأَنَّ مَوْلَى التَّوْأَمَةِ ثِقَةٌ لَكِنَّهُ اخْتَلَطَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ فَمَنْ سَمِعَ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ حُجَّةٌ وَكُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ ابْنَ أَبِي ذِئْبٍ رَوَى الْحَدِيثَ عَنْهُ قَبْلَ الِاخْتِلَاطِ فَوَجَبَ قَبُولُهُ وَرِوَايَةُ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ لَا يُعَارِضُ الْمَشْهُورَ"[32].

قال ابن ماجه: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ حَمَّادٍ سَجَّادَةُ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَسَّانَ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ نُسَيٍّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قَالَ «لَمَّا بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَا تَقْضِيَنَّ وَلَا تَفْصِلَنَّ إِلَّا بِمَا تَعْلَمُ فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَقِفْ حَتَّى تَبَيَّنَهُ أَوْ تَكْتُبَ إِلَيَّ فِيهِ»[33].

فبعد شرحه للحديث وإشارته إلى أن هذا المتن انفرد به المصنف قال: وَفِي سَنَدِهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَسَّانَ وَهَذَا الْمَذْكُورُ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ كَمَا فِي الْأَطْرَافِ وَفِي بَعْضِ نُسَخِ الْكِتَابِ تَنْبِيهٌ عَلَى ذَلِكَ فَفِيهِ بَعْدَ تَخْرِيجِ الْحَدِيثِ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: هَذَا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ وَأَمَرَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِ وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَسَّانَ زِنْدِيقٌ سَمِعْتُ أَبَا حَاتِمٍ يَقُولُ: حَضَرْتُ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ فَقُلْتُ: إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سَعِيدٍ زِنْدِيقٌ فَغَضِبَ وَقَالَ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُحَدِّثُ عَنْ زِنْدِيقٍ كَانَ يَقُولُ أَيْ أَبُو حَاتِمٍ إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ يُونُسَ كَانَ لَيِّنَ الْجَانِبِ لَمْ يَعْرِفْ مِثْلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ[34].

وقال ابن ماجه: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا خَارِجَةُ بْنُ مُصْعَبٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ عُتَيِّ بْنِ ضَمْرَةَ السَّعْدِيِّ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ وَلَهَانُ فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ»[35].

قال السندي: والحديث قد رواه الترمذي بهذا الإسناد وقال حديث غريب ليس إسناده بالقوي عند أهل الحديث لأنا لا نعلم أحدا أسنده غير خارجة وليس هو بقوي عند أصحابنا وضعفه[36].

4. خاتمة

خلصت في نهاية هذا البحث إلى ما يلي:

- ✓ إبراز أحد العلماء المغمورين عند عند أهل العلم عامة وعند أهل التخصص خاصة.
- ✓ الإمام السندي من أبرز العلماء المتأخرين الذين خصوا الكتب الستة وغيرها بالشرح واعتنوا بذلك عناية كبيرة.
- ✓ الإمام السندي يتميز بانتصاره للرجال بالحق وهذا من خلال موافقته لكلام الأئمة السابقين فيهم، ونقل كلامهم عنهم، وله شخصية قوية في المخالفة أحيانا في بعض المواقف حين يرى الحق خلاف ذلك.
- ✓ انتصاره للمذهب الحنفي الذي ينتمي إليه في غالب الأحيان إلا أن يرى الصواب في خلافه، فإنه لا يتردد في اتباعه.
- ✓ مكنة السندي اللغوية بارزة وجلية من خلال شرحه.
- ✓ تميزت هذه الحاشية بالاختصار في شرح الأحاديث بخلوها من شرح مقدمة سنن ابن ماجه بالرغم من أهمية ما تحويه هذه المقدمة من علم.
- ✓ لم يشتغل الإمام السندي بالشرح الإسنادي كاشتغاله بشرح المتون.

ومن التوصيات التي أحيل إليها في الأخير: أنصح الباحثين والدارسين إلى ضرورة الالتفات إلى حواشي هذا الإمام وغيرها من الحواشي التي وضعت على كتب السنة من خلال افرادها بحوث أكاديمية ودراسات جادة تبرز ما فيها من علم وفوائد جليلة، كما ادعو طلبة العلم إلى الاطلاع على مثل هذا النوع من الشروح حتى يعْلموه ويتعلموا ما فيها.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

5. قائمة المصادر والمراجع

- الأعلام ـ الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ ط15: أيار، مايو 2002 م.
- تهذيب اللغة ، للأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والنشر، دون طبعة، 1967.
- دراسات معمقة في الشروح الحديثية، مطبوعة موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر علوم الحديث، للدكتور عبد المجيد مباركية، السنة الجامعية 2019، 2020.
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ـ أبو الفضل ـ دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم ـ ط3: 1408 هـ - 1988 م.
- سنن ابن ماجه ـ ت: محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ـ عبد الحي الكتاني ـ ت: إحسان عباس ـ دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ ص،ب: 5787/113 ـ ط2: 1982.
- كشف الظنون، حاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت دون طبعة، دون تحقيق.
- كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه ـ نور الدين السندي ـ دار الجيل، بيروت..
- لسان العرب لابن منظور، ط 03، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 2004.

6. الحواشي والإحالات:

[1]- تاج العروس، مرتضى الزبيدي، ج 02، ص 502، 503، التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ج 01، ص 427. لسان العرب لابن منظور، ج 02، ص 497، معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد، ج 02، ص 1182.

[2]- ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها، السيد، جمال بن محمد،السعودية: المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1424، 1هـ/2004م، ج 2، ص 45.

[3]– منهج شرح الحديث تأصيل ومعاصرة، أحمد المجتبى بانقا وحاج اسماعيل عبد الله، بحوث ودراسات، ص 169.

[4]– المرجع نفسه، ص 184.

[5]– منهج شرح الحديث، المرجع السابق، ص 187.

[6]– المرجع نفسه، ص 188.

[7]– منهج شرح الحديث، المرجع السابق، ص 191.

8 لسان العرب لابن منظور، مرجع سابق، ج 14، ص 178.

[9] كشف الظنون حاجي خليفة، ج 1، ص 623.

[10] الأزهري، تهذيب اللغة، ج 5، ص 137.

[11] دراسات معمقة في الشروح الحديثية، مطبوعة موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر علوم الحديث، للدكتور عبد المجيد مباركية، السنة الجامعية 2019، 2020، ص 81.

[12] دراسات معمقة في الشروح الحديثية، مباركية، المرجع نفسه، ص 83

[13] دراسات معمقة في الشروح الحديثية، مباركية، المرجع نفسه، ص 84–86.

[14] أنظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ـ عبد الحي الكتاني ـ ت: إحسان عباس ـ دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ ص،ب: 5787/113 ـ ط2: 1982 ـ ج1 ـ ص184/ سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ـ أبو الفضل ـ دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم ـ ط3: 1408 هـ – 1988 م ـ ج4 ـ ص66/ الأعلام ـ الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ ط15: أيار، مايو 2002 م ـ ج6 ـ ص253.

[15] سنن ابن ماجه ـ ت: محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي ـ باب لا يقبل الله صلاة بغير طهور ـ ج1 ـ ص100 ـ ح272.

[16] كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه ـ نور الدين السندي ـ دار الجيل، بيروت ـ ج1 ـ ص117.

[17] مصدر سابق ـ سنن ابن ماجه ـ باب المحافظة على الوضوء ـ ج1 ـ ص102 ـ ح279.

[18] مصدر سابق ـ كفاية الحاجة ـ ج1 ـ ص120.

[19] مصدر سابق ـ سنن ابن ماجه ـ باب التباعد للبراز في الفضاء ـ ج1 ـ ص120 ـ ح331.

[20] مصدر سابق ـ كفاية الحاجة ـ ج1 ـ ص139.

[21] مصدر سابق ـ سنن ابن ماجه ـ باب ما جاء في الوضوء مرة ومرتين ـ ج1 ـ ص145 ـ ح419.

[22] مصدر سابق ـ كفاية الحاجة ـ ج1 ـ ص162.

[23] مصدر سابق ـ سنن ابن ماجه ـ ج1 ـ ص98.

[24] مصدر سابق ـ كفاية الحاجة ـ 1 ـ ص115، 116.

[25] مصدر سابق ـ سنن ابن ماجه ـ باب الدية على العاقلة فإن لم يكن عاقلة ففي بيت المال ـ ج2 ـ ص879 ـ ح2634.

[26] مصدر سابق ـ كفاية الحاجة ـ ج2 ـ ص139، 140.

[27] مصدر سابق ـ سنن ابن ماجه ـ باب اجتناب الرأي والقياس ـ ج1 ـ ص21 ـ ح55.

[28] مصدر سابق ـ كفاية الحاجة ـ ج1 ـ ص28.

[29] مصدر سابق ـ سنن ابن ماجه ـ باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ج1 ـ ص4 ـ ج4.

[30] مصدر سابق ـ كفاية الحاجة ـ ج1 ـ ص5.

[31] مصدر سابق ـ سنن ابن ماجه ـ باب ما جاء في الصلاة على الجنائز في المسجد ـ ج1 ـ ص486 ـ ح1517.

[32] مصدر سابق ـ كفاية الحاجة ـ ج1 ـ ص462.

[33] مصدر سابق ـ سنن ابن ماجه ـ باب اجتناب الرأي والقياس ـ ج1 ـ ص4 ـ ح4.

[34] مصدر سابق ـ كفاية الحاجة ـ ج1 ـ ص28.

[35] مصدر سابق ـ كفاية الحاجة ـ باب ما جاء في القصد في الوضوء ـ ج1 ـ ص146 ـ ح421.

[36] مصدر سابق ـ كفاية الحاجة ـ ج1 ـ ص163.